فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

١٢ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

فردريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

حاسة الفنية

لم يكن نيتشه مفكراً فحسب ، بل كان فناناً ذا حاسة فنية عميقة ، يدل على ذلك ميله خلال طفولته الأولى إلى الموسيقى وعشقه لأربابها . وهل كان إلا غرامه بها الذى جعله ينظر إلى « ڤاجنر » كمثل أعلى لموسيقى عصره ؟ وقد انكب على تلقن أصولها ومبادئها فى صباه الأول ، ودفعته حاسته إلى نظم بعض المقاطيع الموسيقية . وما هى إلا خطوة واحدة لو خطاها نيتشه لأشرف على عالم غير عالمه ، ولأشفى على وجود قد يبدل كل أفكاره وكل آرائه . وهو يقول عن نفسه « لو لم ترجح كفة التفكير عندى لكنتُ الآن موسيقياً ! » على أن ذوقه الموسيقى لبث حياً فى طوايا نفسه . يرتاح للموسيقى أينما صدحت ، ويغيب فى عوالمها حيث تفتحت عوالمها . وهو أكثر مايطمئن لتلك العوالم الفنية المظلمة التى تذهل فيها النفس وتدرج إلى أعماقها حيث يلتقى الفيلسوف والفنان . وقد يؤاخى هذه الحاسة – عنده – حاسته الشعرية . فهو شاعر بالفطرة ، يبدى آراءه الفلسفية بطريق الشعر ؛ وله فى الشعر جولات صادقة تدل على فن عميق وابتكار رائع . وهو وان صدف عن عالم الشعر فان حاسته الشعرية لم تخمد ، بل ظلت تعاوده فى كل ما كتب وسطر . وانشاؤه يغلب عليه الشعر والعاطفة . لايرى قارئه فى تأملاته عقل نيتشه وحده ، وإنما هو واجد كل كيانه يفكر ويكتب ، يطلع عليك بوجوده كله لا بفكره وحده

الوفاء

تكاد تكون تفاصيل حياته الشخصية محدودة . فهو قد ولد عام « ١٨٤٤ » فى « روكن ، حيث كان أبوه قسيساً . وقد تيتم فى الخامسة من عمره . فأتم دروسه الثانوية وتوجه إلى الدروس العالية . وبينا كان يتهيأ للموضوع الذى ينال به « الدكتوراه » فى « ليبزيج » دُعى ليكون أستاذاً فى جامعة « بال » وقد مُنح « الدكتوراه » بدون أن يعرض موضوعه

قضى ستة أعوام هادىء النفس فى الجامعة يقوم بتدريس اليونانية ، وهو خلال هذه الأعوام كالمقيد بصحبة أصدقائه لايخرج من حلقتهم ، وهؤلاء الأصدقاء هم زملاؤه وبعض رفاقه ، أضف إلى ذلك بعض زيارات متتالية إلى منزل الفنان « ڤاجنر » . وقد كان يختلس بعض الفرص فيذهب فى بعض سياحاته القصيرة إلى البحيرات والجبال ، ولم يعكر عليه هذا الهدوء إلا إعلان الحرب السبعينية ، فهجر الجامعة وتطوع فى الجيش الألمانى ، ولكن صحته خانته ، فاضطر إلى العودة مريضاً ، وأعظم ما قام به من الآثار الأدبية خلال هذه الفترة كتابه « نشوء المأساة » ونقده للحضارة الحديثة . فى الكتاب الأول يعالج نبوغ اليونان وعبقريتهم المختلفة فى الفنون ، وفى الكتاب الثانى يعرض « تأملات فى غير حينها » وهو ينطوى على أجزاء : فى الجزء الأول يحمل على « دافيد ستراوس » ، وفى الجزء الثانى يبحث فائدة التاريخ وأخطاره ، وفى الجزأين الأخيرين يبسط عبقرية الفيلسوف « شوپنهاور » وعبقرية الفنان « ڤاجنر » معتقداً أن فى امكان هذين النابغتين أن يقودا الانسانية إلى مثلها الأعلى

وفى سنة ١٨٧٦ عرا حياته الداخلية ماعرا حياته الخارجية من تطور وتبدل ، وأعظم ما نزل به نزاعه مع صديقه « ڤاجنر » أضف إلى هذا ماحاق بصحته من سوء واعتلال ، حتى منحته الجامعة فرصة يقضيها إذا شاء فى إيطاليا أو على هضاب سويسرا . وبعد هذه الراحة عاد إلى بذل الجهود برغم أن صحته كانت تنذر ولا تبشر . فجمع سنة ١٨٧٨ كتابه « أشياء إنسانية ، إنسانية جداً » وكتاباً آخر يضم « آراء مختلفة » و « المسافر وظله » فزادت صحته ضعفاً حال بينه وبين التعليم ، فاعتزل الجامعة لكى يجد المجال الفسيح والقوة الكافية لتتميم رسالته الفلسفية

وها هنا بدل القدر صفحة حياته ، ومنحه حياة جديدة يغمرها الاعتزال ، وحرية التفكير والانفصال ، يكمل تحت ظلها هذه الرسالة التى خُلق لها

* * *

لم يكن ميل نيتشه إلى دراسة اللغات القديمة مجرد هوى أو هيجان ابن ساعة ثم ينطفئ . فقد مال نيتشه إلى هذه الدراسة بقلبه وعقله ، ذلك لأنه يريد أن يظهر أمره فى علم ضيق الساحة ليدرك العلم فضله . وهو أكثر الناس علماً بقيمة العلماء الناقصين الذين يعلمون كل شىء ولا يعلمون شيئاً . وهاهو ذا الآن لا يريد أن يعرف كل شىء ، وإنما يريد أن يعرف شيئاً معرفة متقنة ، فبذل